

كُتبت « نرجس في الحي اللاتيني » منذ أكثر من سبعة أشهر.. وما هي بالمدة القصيرة في حساب التطور الفكري لإنسان كان يحاول في إصرار أن يحدد ويؤسس موقفه النهائي من قضية الانسان وبالتالي من المسألة الأدبية والفكرية والفنية . فكان لا بد من التمهيد قبل ان أتلمس سير

عود على بدء :

« نرجس » ... في « الحي اللاتيني »

بقلم نجيب سرور

والسبب يرجع إلى الفرد عندما يكون الفرد إنساناً غير واع بالواقع فيبدو له الواقع طلسماً ليس له من مفتاح .. ولا قانون .. وفي هذه الحالة يرى الفرد عشرات التناقضات .. في عشرات المواقف .. ولكنه لا يستطيع لكل اولئك فهماً .. إن العالم يتجلى له على غير ما يرام .. مليئاً بالأشياء التي تبعث

على الاشمزاز .. ولكن لماذا ؟. إنه السؤال الثقيل الذي لا يعرف له مثل هذا الفرد الجاهل جواباً .. إنه عالم من القوى المتصارعة المتخبطة التي لا يحكمها قانون .. هكذا يبدو له .. والسبب يرجع إلى الفرد نفسه عندما تكون بالفرد علة من شأنها إشعاره بالنقص أمام الواقع . كأن تكون العلة اختلالاً في تركيبه العضوي .. أو أن تكون مشكلته مشكلة لونية - وانا لا اعني بهذا احداً على التخصيص - او اية علة اخرى تبعث على الشعور بالنقص والدونية .. وهنا أيضاً ينسحب الفرد الى الداخل ثم ينتهي إلى التحوصل . وقد تجتمع العلتان - علة الواقع وعلة الفرد - وفي هذه الحالات الثلاث تنصدع العلاقة بين الفرد والواقع .. ينسحق امام الواقع فيهرب الى الداخل .. يرتد .. يتوقع فيرفض الواقع ماضيه وحاضره ويواجه المستقبل في ذعر وبأس وقلق وغثيان .

والكاش الحى - غرزيبا - يميل إلى التخلص من الألم والهروب منه إما بالقضاء عليه نهائياً - إذا امكن - وإما بطريق التخدير .. ففي سبيل التخلص من الألم كثيراً ما يجوز على الحقيقة الجارحة بالخداع والوهم والتخدير فنقتنع انفسنا بقبض النقيض . ومن الطبيعي الا يحتفظ الفرد داخل الحوصلة بهذا الشعور المؤلم - الشعور بالنقص - فيحدث ان ينقلب الضد الى الضد ويصبح الشعور بالنقص شعوراً بالفرد والسمو .. والسموق .. وهكذا نصنع الاكذوبة الكبيرة لنكون - بلا حياء - من اول المؤمنين بها .. وهنا في هذا الخدر تبدأ النرجسية كمشق حاد للذات .. اذ يحدث تضخم .. ثم تورم في الشعور بالذات؛ وحين يعود مثل هذا الفرد إلى الاتصال بالآخرين فإنه يتصل بهم لا على أنهم كائنات حية .. ولا باعتبارهم افراداً لكل منهم ارادة ، ولكل منهم قيمة انسانية ، بل باعتبارهم « اشياء » Objects لأنه ينفصل عن الواقع اذن .. ثم يحجر الآخرين وعندها تصبح علاقته بهم علاقة ذات بأشياء هذه العلاقة تكون مجردة من كل تعاطف او تضامن او مشاركة .. لأن هذا كله لا يقوم بين ذات واشياء بل بين ذات وذوات .. ثم ان هذا الشعور بشيئة الآخرين من شأنه ان ينمي ويضخم الشعور بذاتية الذات وتفردا .. وتقوم هذه العلاقة على الامتصاص والاستهلاك .. على العنكبوتية

فدكن على ثقة من ان جميع الامراض النفسية منشأها التصدع في علاقة الفرد بالواقع لكي نعرف بعد هذا كيف أن النرجسية عامل مشترك في جميع الامراض النفسية . اما زلت عند حدود الظاهرة ?? لا أظن .. فتي تتأزم علاقة الفرد بالواقع .. متى يصبح الواقع عامل تهديد لطمأنينة الفرد .. في اي مناخ .. في اي مجال يمكن ان يكون الفرد نرجسياً؟

« بالفهم .. بالفهم العلمي فقط تعالج النرجسية وبوعي الواقع بمد الفرد به للآخرين متضامناً متعاطفياً مشاركاً . ووعي الواقع نصف الطريق إلى الانتصار عليه . وبه تنقش سحب اليأس والقلق والذعر والغثيان .. وفي الضوء ينتج أدب الحياة .. وفن الحياة .. وفلسفة الحياة .. (ن . س) »

الواقئ الملمئ . وإذن فقد عرفت أنني عائد حتماً إلى « الحي اللاتيني » بالتناول ولكنني لم أكن أتوقع أن ادفع الى ذلك بمثل هذا العنف الذي يدفعني به الأستاذ العالم . حتى لقد شعرت كأنني القيت مكتوباً في يم .. وعلي رغم هذا ألا ابتل .. وما اعسر هذا !! إن الطريق شائكة خطيرة .. والمشاكل التي يثيرها الأستاذ العالم تنفرع كحزمة ضوئية لتعود فتجتمع في بؤرة أرجو بأخلاص الا تصبح بئراً !! وما من الاصطدام بالاستاذ العالم بد .. فليكن .. وليكتب لنا الله السلامة .. ولكي اناقشه فيما اثار من ملاحظات أجدني مضطراً إلى ان اثير قضية غاية في الخطورة يتوقف على نتائجها نوع الحكم على الرواية من الناحية البنائية - المعمارية - ثم من الناحية الاجتماعية . فلقد خطت في مقال سابق ١ الملامح والحدود الداخلية للنمط النرجسي في علاقته مع ذاته .. أي في حدود المجال النفسي . وإذ بينت رأيي في التحليل النفسي في مقال آخر ٢ فلي أن ارد ظاهرة النرجسية إلى جذورها الاجتماعية فأخطط الملامح والحدود الخارجية للظاهرة في تفاعلها مع المجتمع حتى يمكن أن اتفق والاستاذ العالم على تحديد كلي عام متكامل للنمط النرجسي ، وفي ضوء هذا التحديد نرى ما اذا كان الدكتور سهيل قد نجح او فشل كروائي في أن يقدم لنا نمطاً نرجسياً .

فا هي الدلالة الموضوعية العامة - الدلالة الاجتماعية - لظاهرة النرجسية؟ ما هي الملامح والحدود الخارجية لهذه الظاهرة ?? لو عرفنا أن النرجسية إفراد اجتماعي مشروط بوعاء وأسباب ودواع وظروف معينة .. أمكن لنا خلع الطابع الازني الموهوم عنها والقضاء عليها بالقضاء على أسبابها ولا مجال بعد هذا لبأس : النرجسية تتجسد في ماهية العلاقة بين الفرد والواقع من ناحية . وبين الفرد والآخرين من ناحية أخرى في تركيب اجتماعي معين .. وتتأزم علاقة الفرد بالواقع إما لسبب يرجع الى الواقع ذاته وإما لسبب يرجع إلى الفرد ذاته .. وإما لاجتماع العلتين .. علة الواقع وعلة الفرد .. والسبب يرجع إلى الواقع عندما يكون الواقع عامل تهديد مستمر لطمأنينة الفرد فيضغظ على الفرد ضغطاً ثقيلاً قاسياً ثم لا يستطيع له مقاومة فيشمر عميقاً بالنقص وعندئذ يسحب نفسه إلى الداخل ويعلق عليها الحوصلة ليعيش حياة داخلية مظلمة لا علاقة لها بالعالم الخارجي تماماً ، كما تفعل « الأعمياء » عندما تواجهها قسوة الظروف الخارجية .

- ١ راجع « نرجس في الحي اللاتيني » عدد « فبراير » ١٩٥٥ .
- ٢ راجع « مفهومات في الفن » عدد « مارس » ١٩٥٥ .

في المجتمع الطبقي .. في المجتمع الأزوم .. في مجتمع المعركة والفرص غير المتكافئة وسباق الموانع .. في هذا المجتمع الجواب اليقين : فلنفتح عيننا .. ماذا نرى ؟ هناك ثلاث طبقات فما نصيب كل طبقة من حيث انتشار وباء الترجسية ؟

أما عن الطبقة السفلى فهي بالضرورة ملتحمة بالواقع تعاشه على مرارته وقسوته في صبر أيوني كتوم ، فليس ثمة انفصال هنا بين الفرد والواقع ، إذ إن العمل ، والعمل الشاق المتواصل من الشروق إلى الغروب ، يضمن الاتصال المستمر بين الفرد والواقع ولا يوجد فراغ يمكن أن يسمح بالتأمل .. والطبقة السفلى لا تستطيع أن تضرب عن العمل لأن العمل هو الشرط الوحيد والحد الأدنى الذي يضمن لها حياتها .. فلا يوجد هنا انفصال عن الواقع .. ولا يوجد انزلال لأن العمل يلد بالضرورة التعاطف والتضامن والمشاركة والمون والفيرة كأبناء شرعيين للعمل . ثم ليس هناك تهديد لطمأنينة الفرد في هذه الطبقة إذ ليس ثمة خوف من السقوط إلى مستوى أدنى . فلا توجد هاوية تحت الطبقة السفلى ، لانها هي ذاتها في القاع . هناك إذن نوع من الاستقرار النفسي ، من الطمأنينة ، من الاستسلام ، أنا الفریق فما خوفي من البلبل ?? .. هذا الاستسلام يعبر عنه مثل جار يقول «ان الفرد ما كان له أن يخشى التهديد بالمشح لأن المشح لن يجوله إلى غزال» . فن خصائص الطبقة السفلى كما رأينا الارتباط الكلي بالواقع ، وعدم وجود الفراغ ، والتضامن مع الآخرين ، والطمأنينة ؛ مما لا محل معه للقول بإمكان وجود الترجسية داخل حدود هذه الطبقة .

أما في الطبقة الوسطى فنجد الفراغ الذي يفسح المجال للتأمل : فقيم يتأمل إنسان الطبقة الوسطى ?? ..

إنه إما أن يكون وارثاً ، وإما أن يكون عصامياً جاهد وكافح فنجا من الخنيزق وتنصل من طين الطبقة السفلى على أكتاف الغير وعلى اشلاء الضمير والقيم الانسانية المهذرة وبوسائل الانتهاز والترصيص .. وهذا يتأمل ماضيه الكريه بالآلامه وجرائمه ثم لا يلبث أن يرفض هذا الماضي بما فيه ومن فيه ويقنع نفسه باصرار بأنه ليس مديناً إلا لنفسه وجهده الشخصي بما وصل اليه . عندئذ تنشر الأنا جناحها كرخ أسود كريه . وكلا الوارث والمصامي يتأملان الجاهز فيفرقان في قلق فاس مبته - من ناحية - الطموح الجارف إلى اختراق حاجز الطبقة العليا - ومن ناحية أخرى - الخوف المذعور من السقوط في الهاوية والمودة إلى طين الطبقة السفلى .. هذه الاخيرة تقبع تحت الطبقة الوسطى كثنين هائل موحش يفرغ شذقيه لإلتهام كل من تخونه قدماءه أو يخونه الحظ فيسقط . وهكذا نجد في الطبقة الوسطى شروط وجود الترجسية : من فراغ ، إلى قلق طامح خائف ، إلى انزالية ..

أما بالنسبة للطبقة العليا فهي كالوسطى - مع اختلاف في الدرجة - يثور فيها شرط الفراغ الشاغر وعدم الطمأنينة ، والخوف ، ويزداد القلق والخوف حدة وقسوة كلما ازداد الوعي الجماهيري بالواقع ، وتتجلى الهوة سحيقة مخيفة للطبقة العليا .. كم هو مخيف الطوفان !! ..

ومن قلق الحاضر بالنسبة للطبقتين العليا والوسطى يكفن المستقبل بالسواد ، وفي هذا الجو الخائق المقلق المثمن تتورم الأنا وتنضح بالصديد ، بأفكار تدور كلها حول الهروب والمدمية والترفان والهزيمة والتجريد والسلبية والاتجار وتفاهة الحياة ورفض التاريخ الانساني المجيد . أو تدور حول اللذة والمجد والبطولة ، أو تدور حول الحرية الهروبية الموهومة التي لا تستند إلى علم او تاريخ والتي تتكرر كل الختميات ولا تجب أن تسلم بواقع أو ضرورة ..

في هذا الجو ينزأ أدب الموت .. وفن الموت .. وفلسفة الموت .. ولهذا الأدب وهذا الفن وهذه الفلسفة وظيفتان : الوظيفة الأولى أنها تعبير صادق عن حاضر مأزوم والوظيفة الثانية أنها تحذير للطبقة السفلى التي - من الصالح - أن تفرق في الضباب . وهكذا .. لأنها سلاح ذو حدين ..

وهكذا يرشح كل المثاليين بلا استثناء في الأدب والفلسفة والفن .. وهذا يرشح سارتر وكفكا وبيكاسو ... بالهروب والهزيمة والتجريد على الترتيب .. يا من تصدعون رأسي بسارتر وكفكا وبيكاسو .. وهذا كله معناه الترجسية بمفهومها الواسع يا من تسألوني قيمة كسفي للترجسية !! .. فهل وفيت بعهدي للقراء حين وعدتهم بالربط بين الترجسية والفوضوية والوجودية ?? .. أما وقد حددت الملامح الداخلية والخارجية للنمط الترجسي فليس أيسر على القاريء من أن يعود إلى تاريخ حياة اي فوضوي وأي وجودي وأي مثالي على الاطلاق - ليكشف في وضعيته الاجتماعية وفي أفكاره عن هذه الملامح .. أروني وجودياً بشذ على هذا النمط ويخرج على هذه الملامح في وضعيته وفي لإنتاجه .. ولكن احذروا أن تغالطوا فان الحقائق الموضوعية قاسية لا تعرف بالمغالطين رفقاً ولا رحمة .. كم هي حلوة الخليفة يا اخواني ولينكم تملسون !! .. إقرأوا « إپرستراتوس » لسارتر - نخرجوا بنموذج نمطي للترجسية .

بعد هذا كله يتضح للأستاذ العالم كيف ان التحليل النفسي ليس عديم الجدوى على إطلاق وانما يصبح عديمها عندما ينتهي عند حدود الظاهرة دون أن يردّها الى غدها ويصلها بجذورها الاجتماعية .. وقبل ان ناقشه في مشكلة « النمطية » تبقى كلمة تقال : فعندما تتأزم العلاقة بين الفرد والواقع تتأزم العلاقة بين الفرد والآخرين وبالنتيجة تتأزم العلاقة بين الجنسين . إذ على هذه العلاقة الأخيرة ينعكس الطابع العام لكل العلاقات في مجتمع معين .. فحيث يتمتع الفرد بقيمته الانسانية . تتمتع المرأة بقيمتها الانسانية . وحيث يصبح الفرد شيئاً تصبح المرأة شيئاً وتنتزع منها قيمتها المشروعة الطبيعية القدسية ككائن إنساني - وهذا كلام أوجه بالذات إلى الأنسة سيرة عزام ١ بمناسبة قصتها « الظل الكبير » فهي تنبع من هذه الازمة .. ازمة الفتاة الشرقية المثقفة التي يصر المجتمع على ان يعاملها كشيء .. بلا قيمة انسانية - فاذا اردنا ان نرد علاقة الفرد بالآخرين وعلاقته بالمرأة الى حالة الصحة والسواء .. اي لكي يصبح الفرد كائناً انسانياً ، ولكي تصبح المرأة كائناً انسانياً ، فليتنا - لا ان نلجأ الى المخدرات الهرمونية عند سارتر وغير سارتر - بل ان نصحح علاقة الفرد بالواقع بأن نمطي الفرد مفتاح هذا الواقع .. قانون هذا الواقع .. وعندما يبدأ الفهم العلمي للواقع تنتهي الترجسية .. اذ يبدأ الشعور الداخلي بالثقة بالنفس والايان بلازلية الواقع وبامكان تغييره واعادة تركيب البناء الاجتماعي على اساس سليم .. اجل يا اخواني بالفهم .. بالفهم العلمي فقط تماذج الترجسية .. وبوعي الواقع يمد الفرد يده للآخرين متضامناً متعاطفاً مشاركاً .. ووعي الواقع نصف الطريق الى الانتصار عليه .. وبه تنقش سحب اليأس والقلق والدعر والغثيان . وفي الضوء ينتج ادب الحياة .. وفن الحياة .. وفلسفة الحياة .

هذه هي الملامح والحدود الخارجية للنمط الترجسي في علاقته مع الخارج . وتلك هي جذوره .. وقد سبق ان بينت الملامح الداخلية للنمط الترجسي في علاقته مع ذاته اي في حدود المجال النفسي .. وبالتكامل بين الملامح

١ راجع عدد (فبراير) ١٩٥٥ .. ولنا في « الظل الكبير » دراسة لم تنشر بعد .

الترجسي - وخضوع لحمية الحدود والداخلية للنمط المتبنى على أساس الاختيار المبدئي لكيفية تقديم هذا النمط .. وهكذا لم يعد المؤلف حراً في ان يرى شيئاً لا يراه البطل .. ولا في ان يراه بغير الكيفية التي يراه بها البطل. كان على المؤلف ما دام قد اختار ان يقدم النمط من الداخل بسياحة باطنية ان يلتزم - كحمية - حدود هذا الداخل .. هذا الحصار الارادي .. فكان عليه ان يرى الاشخاص بعين البطل - كنمطه ترجسي - اشياء مسطحة مطفأة ممتعة ضائعة السمات باهتة الملامح معدومة الذاتية بلا وجود موضوعي نابض بجسم انساني ، بلا علاقات موضوعية بين البطل وبين الاشخاص وبين بعضهم البعض ما دام من ضرورات النمط الترجسي - كما عرفنا - لاندماج هذا الوجود الموضوعي للاخرين وانعدام هذه العلاقات . وكان عليه ان يرى - بعيني البطل - «الأبعاد الموضوعية المكانية والبشوية» باهتة ما دام البطل كان يعيش حياته الداخلية فلم ير الحي اللاتيني وباريس وفرنسا ولبنان .

وكان عليه ان يرى القضايا الفكرية والسياسية .. التي تعالجها الرواية .. بالصورة الغائمة الغامضة المهزوزة السطحية التي يراها بها البطل الفردي الانعزالي . وقد قلت في مقالي السابق ان القضية العربية الغائمة كانت في ذهن البطل وسيلة لاشباع « جوعه الشره إلى تأكيد الذات » وطموحه الجارف إلى الزعامة والظهور بمظهر البطولة على نطاق واسع بعد ان استهلك جانين ، وهذا اكثر منطقية ومساوقة للنمط الترجسي من ان نقول مع الأستاذ العالم بأن البطل اتخذ من القضية العربية تكأة « للدفاع بها عن موقفه من جانين الشديدة » وهي إذن ليست « دريئة لتخليص البطل من جرمه » - كما يقول الأستاذ العالم - بل هي شيء منطقي جداً مع ترجسية البطل الذي يترزع دائماً إلى الانتشار ..

خلاصة هذا كله ان الملاحظات الثلاث الأخيرة التي قدمها الأستاذ العالم تحسب للدكتور سهيل لا عليه ، ما دامت نتائج لازمة وطبيعية ومنطقية مع الكيفية التي اختار الدكتور سهيل ان يقدم بها نمطه حين اختار ان يقدمه بسياحة باطنية في داخل النمط . وهكذا جاء الدكتور منطقياً إلى حد لا يجارى مع هذا الاختيار المبدئي. وحين نطلب اليه ان يناقض النمط فيخرج عن الحدود التي اختار بطل حريته وإرادته أن يتقيد بها منذ بدأ يكتب روايته فانتنا نكون قد نسيتنا الأمر الواقع الذي يواجها به والذي يجب أن نحاسبه - من الناحية المعيارية - على أساسه وهو حصول اختيار التحديد الذاتي للارادة بالفعل ..

هذه المنطقية التي التزمها المؤلف مع اختياره المبدئي تنطبق هي ذاتها على « ظاهرة المونولوج الداخلي » التي اثارها الأستاذ العالم في ملاحظته الأولى وهي تحسب للمؤلف لا عليه . فانتنا ننسى الأمر الواقع الذي يصدر عنه المؤلف عندما نطالبه بما يناقض لوازم هذا الصدور بأن نطالبه - مع الأستاذ العالم - بمونولوج عريض : « يستشرف علاقات متناقضة في آن ويحاول ان يربط بينها برباط ما » وننسى ان المؤلف التزم بأن يدير مونولوجاً في داخل نمط ترجسي، ومن لوازم هذه النمطية الترجسية الضيق والاتغلاق وانعدام العلاقات والتوقع .. هناك إذن مونولوج داخلي ولكنه ليس مونولوجاً داخلياً « بالمعنى المفهوم » كنتيجة لازمة لكون مجال المونولوج في الرواية نمطاً ترجسياً متغلقاً لا نمطاً متفتحاً . وهنا أيضاً نرى المؤلف غاية في المنطقية مع اختياره لكيفية تقديم نمطه . والمؤلف حر في ان يختار ما يشاء وعلينا ان نسلم بما يختار كأمر واقع يحسب له حساب .

وهذا هو السبب في تنبني لظاهرة الترجسية في البطل فقط ، إذ ان

الداخلية والخارجية نستطيع ان نتفق على تحديد كلي عام للنمط الترجسي غير محتجين بمد هذا - كما يفعل الأستاذ العالم - بقصور نتائج التحليل النفسي .. وبغير هذا التحديد التكاملي تستحيل مناقشة مشكلة النمطية التي اثارها الأستاذ العالم .. فهل يوافقني على هذا التحديد؟ لا ادري وإن كان يتعين علي - مؤقتاً - أن افترض موافقته .. فعلى استيعابنا لهذه الملامح - الداخلية والخارجية - يتوقف الحكم بنمطية بطل الحي اللاتيني وبشخصيته . فاذا كانت الرواية تقدم لنا نمطاً ترجسياً فعني هذا أنها تصمد - من الناحية البنائية .. المعيارية - أمام هذا المنهج النقدي الصلب الذي يواجها به الأستاذ العالم .. وأنا أزعج مبدئياً أن الرواية تقدم لنا هذا النمط .. ولكي نبرهن على صحة هذا الزعم علينا أولاً ان نجيب على السؤال التالي : كيف قدم الدكتور سهيل نمطه الترجسي؟ هنا يظهر مدى الاختلاف بيني وبين الأستاذ العالم .. فن كيفية تقديم الدكتور سهيل لنمطه ينكر الأستاذ العالم وجود هذا النمط .. وافرر أنا وجود النمط استناداً إلى هذه الكيفية ذاتها. لقد اختار الدكتور سهيل أن يقدم لنا النمط من الداخل . والنتيجة المنطقية لهذا الاختيار أن يفرض الحدث الروائي على المؤلف حدوده الداخلية ما دام المؤلف قد اختار هذه السياحة الباطنية من داخل النمط .. وعلينا حين نعرض لتقديم الرواية - معيارياً - أن نقيمها على أساس هذا الأمر الواقع الذي يواجها، به المؤلف أي على أساس اختياره لتقديم نمطه من الداخل لا بالقياس إلى اعمال أخرى لم يختار مؤلفوها هذه الكيفية لتقديم أنماطهم : عندما نطل على اشخاص الحي اللاتيني فانتنا نطل عليهم من داخل البطل ونراهم بعينه لا بأعيننا نحن فإذ نرى؟. إننا نرى اشياء لا أشخاصاً .. نرى كائنات حجرها ترجس فلم تعد بعد كائنات حية لها وجودها الذاتي إذ جردت من ذاتيتها واصبحت من خلال البطل وجوداً متحجراً. وليس لنا بأزاء هذا حيلة، فانتنا مجبرون على أن نراهم بعيني البطل ، والبطل هو النظارة الوحيدة في الرواية التي نطل منها على العالم وعلى الناس ويتلون كل اولئك بما تلونهم به هذه النظارة .. وهكذا نفقد حريتنا .. ونفقد أعيننا بمجرد أن نعلق علينا باب الرواية « لا ما أنت بالحالم » .. من هنا يكون البطل قد سلطنا ذاتيتنا وأعارنا عينه كنافذة وحيدة نطل منها على الخارج فلا نعود بمد أحراراً في أن نرى غير ما يراه البطل .. بل نرى ما يراه وبالكيفية التي يراه بها .. وإذن فالبطل يحولنا نحن القراء إلى اشياء .. ويمتصنا كما امتص كل من قابله .. هذا المنكبوت ..

وما حدث لنا نحن قراء الحي اللاتيني حدث لمؤلف الحي اللاتيني: فبمجرد أن بدأ المؤلف بـ « لا ما أنت بالحالم » كان قد انسلخ من ذاته وتجرد من عينه وفقد حريته وطرح ذهنه الخاص ليُدخل بكيته في حدود البطل الداخلية محاصراً بهذه الحدود، مستميراً بعيني البطل وذهن البطل .. فهنا انسلخ من الذات - ذات المؤلف - وتقمص لذات أخرى مغايرة - هي النمط

صدر حديثاً

العروبة اولاً...

للاستاذ ساطع المصري

دار العلم للملايين

الشمس ليرتبان

وإنساني . فالإنسان كائن أخلاقي وهو لا يملك الا أن يصدر حكماً أخلاقياً على أي نمط يقدمه اليه أي مؤلف . فإنا مثلاً لا نتردد في أن أشنق بطل الحلي اللاتيني - إذا يئس من علاجه - على أقرب شجرة .. ثم اقيم لجانين الشهيدة تمثالاً يكون كمة يحج إليها أنصار الإنسان فيمن يحج اليهم من شهداء الإنسانية . والقارئ الذي لا يحس بهذا الاحساس قارئ يستحق الشنق مثل بطل الحلي اللاتيني سواء بسواء ... أقول تظهر آثار هذه الطريقة التي قدم بها المؤلف نمطه لأن من لوازمها الحتمية الوقوف عند نهاية الحدود الداخلية للنمط . فهي لا تسمح للمؤلف - أي مؤلف - بالخروج عليها بأن يجب .. وأقصد الاجابة الضمنية غير المباشرة التي تستشف من بين السطور والا نكون قد طالبنا المؤلف بالوعظ والخطابة - على السؤال الذي قلت انه لا بد يثور في ذهن القارئ . اذ من الطبيعي ان يستحيل الظفر بجواب على هذا السؤال من الرواية ما دام المؤلف يفرض علينا وعلى نفسه حدود الظاهرة داخلياً .

وهنا أيضاً يظهر لنا الى اي مدى كان المؤلف منطقياً مع اختياره . وهذه المنطقية التي تتجلي لنا من حيث تناولنا الرواية هي اقطع دليل يوجه به الأستاذ العالم على نمطية بطل الحلي اللاتيني .

وهكذا تصمد الرواية في كبرياء امام منهج الأستاذ العالم من الناحية المهارية .. اذ تصبح هي ذاتها نمطاً فريداً في الروايات له مقوماته وكيفياته المهارية الخاصة التي يجب ان يحاسب اعتباراً منها لا بالقياس الى اعمال اخرى لم يلتزم مؤلفوها بما التزم به مؤلف الحلي اللاتيني . فأين نظفر بالجواب المنشود على سؤالنا هذا : مدى وعي المؤلف بالحدود الخارجية للنمط وما تراه يمكن أن يكون حكمه عليه؟ . استطيع ان ارضي هؤلاء الذين يمتجولون الأحكام النهائية على طريقة ابناء المم سام ! ويكرهون البحث وما يتطلبه من امانة وجد وصبر توفيراً للشقة وهروباً من العناء . استطيع ان ارضيهم فأسارع بالاجابة على هذا السؤال الخطير في بساطة وتهور ولا مبالاة وادعاء وتامل . ولكنني لن استطيع - لو فعلت - ان اظلم اميناً .. ولن استحق حينذاك - لا قدر الله - احترام نفسي لنفسي فضلاً عن احترام الآخرين لي . والأمانة تفرض علي - كحق للمؤلف أولاً وللقرء ثانياً - ان اعود الى نتاج الدكتور سبيل ادريس ، كل نتاجه ، لأخرج بالاجابة على السؤال .. وعليها تتوقف القيمة الاجتماعية للرواية ..

فصبراً .. والى لقاء ..

نجيب سرور

القاهرة

امامي ذاتاً وحيدة ، وانا لا أصل الى اشخاص الرواية الا بالدخول في هذه الذات الوحيدة . ولا أصل اليهم الا كأشياء منتمية مستهلكة متحجرة - كما كان يرام المؤلف عندما اختار هذه السياحة من داخل البطل - فهل كان يمكن لي أن أتبع خطأ نفسياً في أشياء?? .. بعد هذا يتضح للأستاذ العالم ان ليس ثمة ازدواج ذهني .. ان هناك ذهنأ واحداً لا غير: هو ذهن البطل ولا يوجد « ذهن آخر للبطل » وما حدث لي كقارئ من تنازل عن ذهني تنازلاً تاماً لأستدير ذهن البطل بمجرد ان بدأت الرواية .. حدث للمؤلف .. ولا ادري لماذا نصر على القول بأن المؤلف اعار ذهنه للبطل حيث يمكننا ان نقول بأن المؤلف استعار ذهن البطل .. ثم لماذا لا نقول - بالمنطق نفسه - انني نرجسي ما دمت قد كشفت عن النرجسية .. والاسقاط يلاقي الاسقاط?? .. ثم لماذا لا يكون كل من يوافق على ان البطل نرجسي نرجسياً هو الآخر? وما ذنب المؤلف اذا كانت انفعالات البطل « توجه المواقف وتلخص الابداء وتختصر العلاقات وتجرد المدن والشوارع والمفاهي » واختار المؤلف - وهو حر - ان ينسوخ من ذاته ليتبنى هذه الذات النرجبية التي تفعل ذلك كله?? .. ولماذا تقول ان المؤلف « يجر كباطله وواقع حدثه الروائي داخل وجدانه الذاتي ومزاجه الخاص » ولا تقول ان البطل - لا المؤلف - كنمط التزم المؤلف حدوده وانتلاقيه هو الذي يفعل كل اولئك ، سواء أكان يعرف المؤلف في البدء نرجسية نمطه أم لا??

من هذا نعرف مدى نجاح المؤلف في إظهار الملامح الداخلية للبطل مما يدل - بعكس ما يقوله الأستاذ العالم - على محاولة استبطانية بعيدة الغور . فقد دلت على النرجسية من صلب الرواية - لا من عندي - بعشرات النصوص والمواقف والملابس دون ان أعم في الاتهام لأفكار قبلية جاهزة .. ومعنى هذا ان المؤلف كان واعياً وعيباً كاملاً باللامح الداخلية لنمطه فنجح لذلك في بنائه بناء داخلياً لا ريب فيه ، هذا البناء الداخلي جاء البناء الوحيد الممكن المنطقي مع التزام المؤلف لكيفية تقديم نمطه وليس لنا ان نطلب اليه مناقضة ما اختاره لارادته - في حرية - من تحديد .

وما بذلته من جهد قدره الأستاذ العالم مشكوراً .. في سبيل الكشف عن النرجسية ، ليقوم دليلاً على ما بذله المؤلف من جهد لاستبطان النمط ، ولذا قلت في غير هذا المكان ان الرواية تقوم على : « التحليل النفسي الدقيق الأمين الواعي الذي لا تنقصه الشجاعة والجرأة والصدق » ... وبعد ان دلت على وعي المؤلف باللامح الداخلية للنمط النرجسي في حدود المجال النفسي .. نصل إلى اخطر سؤال تدفعنا اليه ملاحظات الأستاذ العالم .

ما مدى وعي الدكتور سبيل باللامح الخارجية للنمط ، بدلالاته الاجتماعية ، بتفاعله مع المجتمع?? على جواب هذا السؤال تتوقف القيمة الاجتماعية للرواية ، والعمل الفني ظاهرة اجتماعية متأثرة - حتماً - بالمجتمع ومؤثرة - حتماً - في المجتمع . وما دمنا قد عرفنا مدى انطباع المجتمع على الرواية يبقى من حقنا ان نسأل عن نوع تأثير الرواية في المجتمع .

وإذ اختار المؤلف أن يقدم لنا نمطه من الداخل كان عليه كما قلت أن يلتزم الملامح الداخلية ، محض الملامح الداخلية . ولكن تظهر آثار هذه الطريقة عندما يطالب القارئ المؤلف بحكمه الاخلاقي على هذا النمط الذي خاقه .. بموقفه الاجتماعي من هذا النمط كظاهرة اجتماعية لها جذورها ودواعيها وظروفها ووعاؤها ، أي بوعيه للملامح الخارجية بالإضافة الى وعيه باللامح الداخلية . والحق أن طلب القارئ هذا طلب طبيعي وضروري

صدر حديثاً

المعطف

لغوغول

نقلها الى العربية

الدكتور بديع حقي

دار العلم للملايين

الثلث ليرة لبنانية